أشتاق إلى الله

- من هو الباحث الحقيقى؟
- هل تبحث عن الله أم أن الله هو الذى يبحث عنك؟

اهداءات ٢٠٠٢

كنيسة الانجيلية بالعطارين

الاسكندرية

أشتاق إلى الله
طبعة ثالثة ٢٠٠٢
الإعداد الفني والجمع وحق ملكية الصور: شركة ماستر ميديا
ص. ب. : ٩٤٩ المعادي رقم بريدي : ١١٧٢٨ القاهرة
تليفون: ٤٥٢٠ ٣٥٩ - ٤٣٠٠ ٣٥٩ / فاكس: ٦٢١٥ ٣٨٠
E-mail: masterm@lintouch.com
الموزع داخل جمهورية مصر العربية: مكتبة المنار
١٧ شارع مراد الشريعى، سانت فاتيما، مصر الجديدة، القاهرة.
تليفون: ٦٣٩٥٠٣٠ - تليفون وفاكس: ٢٤٠٣٨٤٨
طباعة : دار الياس العصرية
٧٣ ، ٧٥ شارع عمان - عين شمس الشرقية - القاهرة - مصر
ت: ٥٧١٥ ٢٩٨ - ١٧٣٥ ٢٩٨ - فاكس: ٠٧٣٦ ٢٩٨

رقم الايداع : ٢٠٠١/٢٢٧٠
الترقيم الدولي : ٦-٥٠-٥٦٧٤-٩٧٧

أشتاق إلى الله

**من هو الباحث الحقيقى؟
هل تبحث عن الله أم أن
الله هو الذى يبحث عنك؟**

يعلمنا تاريخ الجنس البشري
أن الناس في كل العصور
ومن كل الأجناس والحضارات
قد بحثوا عن **الله**

توجد رغبة عميقة داخل القلب البشري تشتاق إلى معرفة الله، وإلى شيء مختلف عما يقدمه العالم المادي.

وهذا الاشتياق أساسي جداً وملح حتى إنه يشبه بالجوع الجسدي. فتماماً، كما يشير الجوع إلى أن الجسم قد خُلق لكي يعيش على الغذاء، هكذا يشير الجوع الروحي إلى أن البشرية قد خُلقت للحياة مع الله.

لكن هناك بعض الناس بالطبع يقاومون هذا الجوع الروحي، فهم ينكرون احتياجهم للشبع الروحي، تماماً كأولئك الذين يضربون عن تناول الطعام فيؤدي ذلك إلى ذبول الجسد، وفي النهاية إلى الموت. بنفس الطريقة، يؤدي حرمان الروح من الغذاء إلى الذبول الروحي وأخيراً إلى الضياع والهلاك الأبدي – أي الانفصال الأبدي عن الله.

لكن معظم البشر يستجيبون لجوعهم الروحي الداخلي تماماً كما يستجيبون لجوعهم الجسدي، فيبحثون عن الغذاء الروحي الذي يشبعهم روحياً.

لكن كيف يمكن للإنسان
أن يجد هذا النوع من الغذاء؟



أسئلة للبحث

يمكننا أن نسأل هذه الأسئلة بعدة أساليب، لكن يظل الاحتياج والاشتياق كما هو في جميع الحالات.

كيف يمكنني أن أتواصل مع الله؟

ما الذي يجب عليّ عمله لإرضاء الله؟

كيف يمكن أن أتعامل مع التجارب والآلام في هذا العالم؟

ورغم أن شكل بحثنا قد يختلف من بيئة إلى أخرى، إلا أن السؤال الأساسي يظل كما هو، إذ إنه ينبع من الحالة العامة للقلب البشري، وهي حالة الاحتياج الشديد للشبع الروحي، وهو ما لا تستطيع الروح البشرية أن تصنعه بنفسها أو أن تجده عن طريق الأشياء المادية الموجودة في هذا العالم.

لقد قال القديس أوغسطينوس أحد المفكرين الأفارقة من القرن الرابع الميلادي ذات مرة في صلاته: «اللهم إن قلوبنا تظل قلقة إلى أن تجد راحتها فيك».

وبعده بألف عام ردد أحد الفلاسفة الفرنسيين صدى هذا الحق بقوله: «داخل كل قلب بشري يوجد فراغ لا يمكن أن يشغله ويملأه سوى الله».



ربما وأنت تقرأ هذه الكلامات اليوم تشعر بجوعك الروحي بشدة، فتتساءل: ما الذي يلزم المرء ليكون «باحثاً حقيقياً».

إذا طلبت الإجابة من تاريخ الفكر الديني، وبخاصة في الديانات الأولية وغير الكتابية فإنك ستحصل على مجموعة من القوانين والمبادئ أو على الشعائر التي يجب اتباعها. حتى تؤهلك للاستنارة أو للحصول على بعض الردود الإيجابية من السماء. وسواء بصورة بسيطة أو مركبة، فإن هدف هذه القوانين والشعائر هو أن تفتح أبواب السماء عن طريق تخطي الحواجز الموجودة بيننا وبين الله، سواء كانت هذه الحواجز فينا نحن أو في أفكارنا عن الله.

إن كثيراً من الباحثين والساعين إلى الله ينسبون إليه أنه "إله بعيد"، بل إن بعض الناس يعتبرون الله غير مهتم بالبشر. فأحياناً نعتقد أن الله شديد البعُد والسمو حتى أننا لا يمكن أن نصل إليه بسهولة، بل قد نعتقد أن الله لا يرغب حتى أن تزعجه اهتمامات البشر الصغيرة.

أما الحاجز الآخر بيننا وبين الله فيأتي من إحساسنا بعدم الاستحقاق، نتيجة لوجود الخطية في حياتنا. إننا نقول لأنفسنا: «إن الله كلي القداسة، وما أنا إلا مجموعة من الرغبات الخاطئة والمتصارعة، وهذا السلوك يخلق حاجزاً ومسافة تتزايد باستمرار بيني وبين الله. وأنا من ناحيتي لا يمكنني أن أتخطى هذه المسافة أو أزيل هذا الحاجز».

كما كان حبقوق نبي العهد القديم يفكر في الله قائلاً: «عيناك أطهر من أن تنظرا الشر ولا تستطيع النظر إلى الجور ....» (حبقوق ١ : ١٣).



جذب اهتمام الله

كانت كثير من الديانات القديمة تسعى للتغلب على الإحساس ببعُد الله وسموه، وعلى الإحساس بذنوب الإنسان وخطيته. بإقامة الشعائر الدينية والطقوس التى تهدف إلى تطهير من يمارسها من الذنوب، في محاولة لجذب انتباه الله من خلال العطايا والهدايا الثمينة التي تقَدم له على المذابح، أو حتى من خلال الاحتفالات الدينية والنذور. والذين يمارسون مثل هذه الطقوس يأملون في أن يحثوا الله على العمل لصالحهم.

لكن الشعائر والطقوس الدينية إذا خلت من العبادة الحقيقية النابعة من القلب، فهي بلا معنى وقد اكتشف الكثيرون بالفعل؛ أن الله لا ينظر الى العبادة الشكلية وقد قال الرب على فم أشعياء النبي:

« لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لي. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل. لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليَّ ثقلاً. مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم وإن كثرتم الصلاة لا أسمع. أيديكم ملآنة دماً » (إشعياء ١ : ١٣ – ١٥)

وآخرون يسلكون حياة التقوى والفضيلة كمحاولة لعبور الفجوة بينهم وبين الله. فهم يعتقدون أنه بتحقيقهم لمستوى أخلاقي عالٍ وارتفاعهم فوق مستوى الآخرين ليصلوا إلى القمم الممكنة للطهارة والبر الذاتي لدى البشر، يظنون أنهم بذلك فإنهم قد يجذبون اهتمام الله وينالون رضاه.

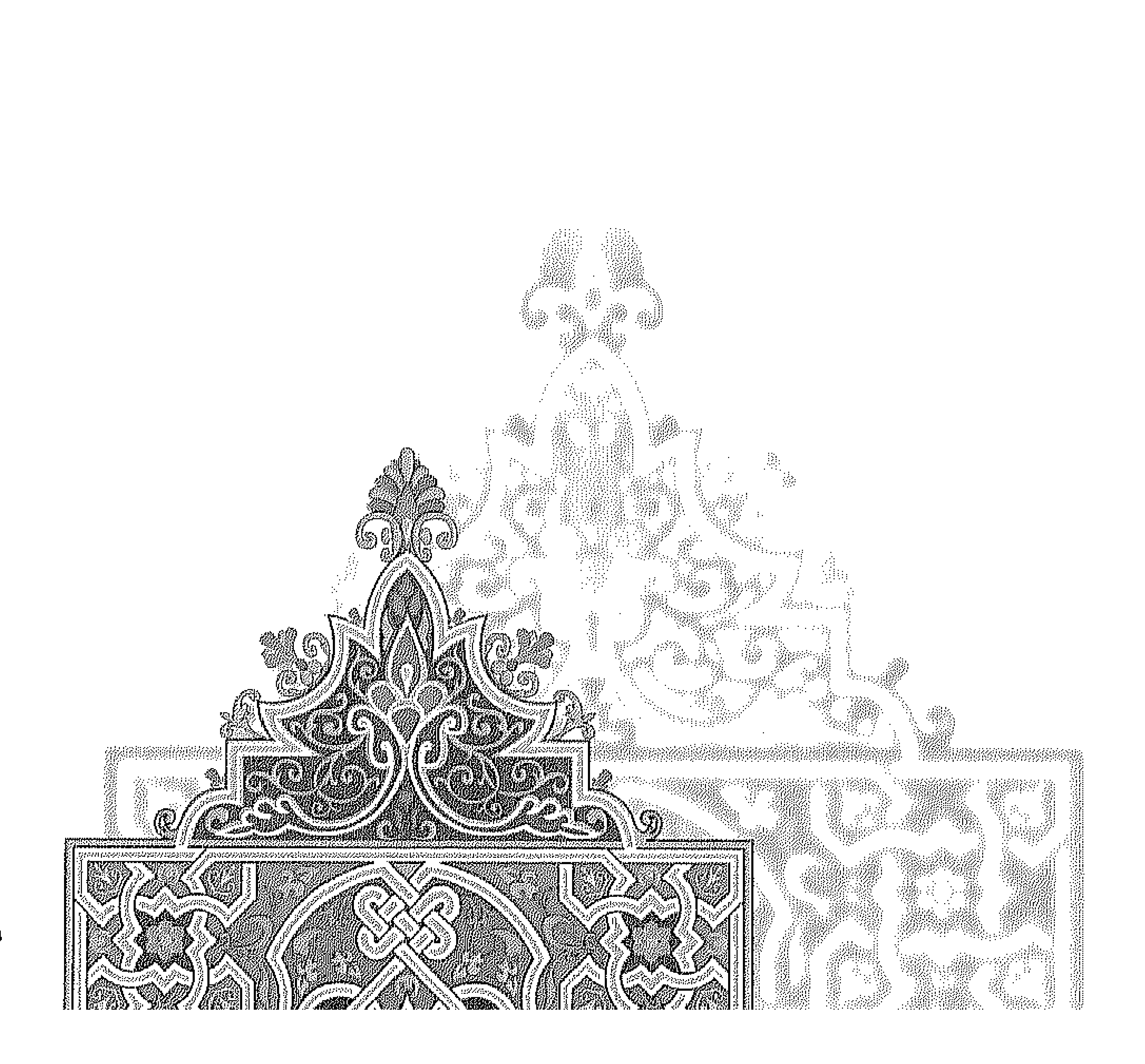
وقد كان هذا الاتجاه هو الصفة المميزة لبعض الناس الذين كانوا من أكثر الناس تديناً في كل عصر.

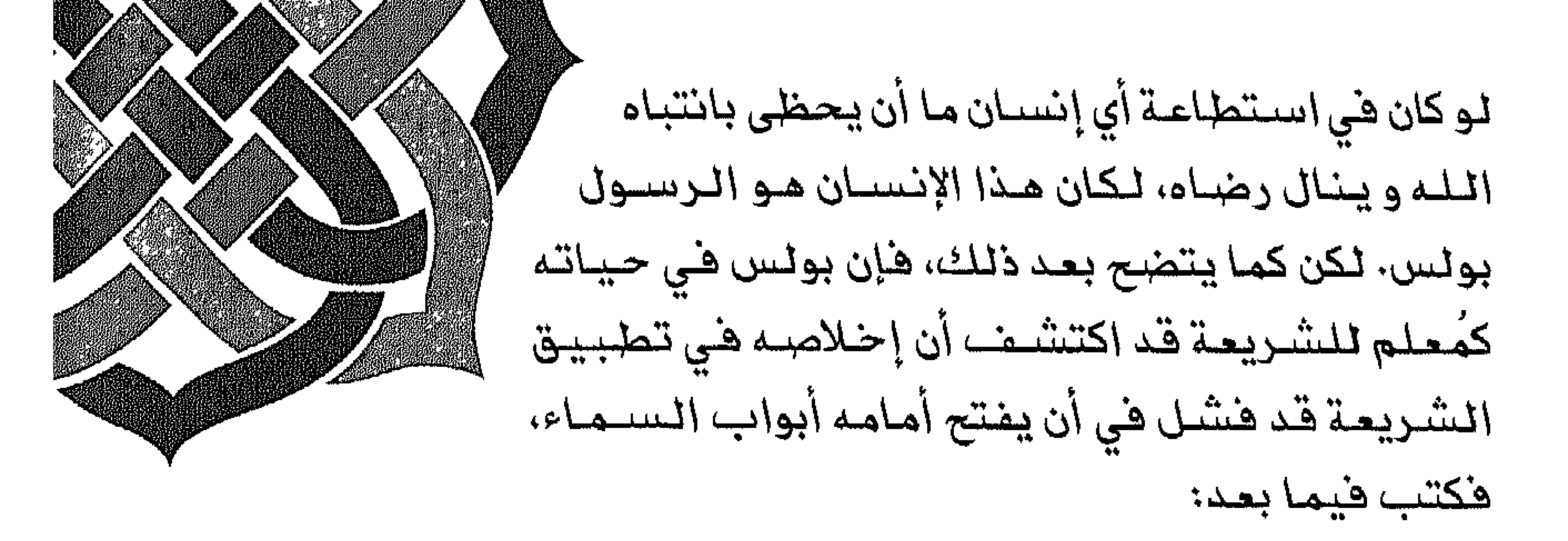
وقد وصف رسول المسيحية بولس حياته الأولى كمُعلم يهودي كما يلي:

« فإنكم سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات أبائي. » (غلاطية ١ : ١٣ - ١٤)

وقد كان بولس ملتزماً تماماً باتباع هذه الحياة من الأعمال الصالحة حتى إنه شعر أنه قد حصل على أعلى مكانة يمكن أن يصل إليها الإنسان أمام الله.

« مع أن لي أن أتكل على الجسد أيضاً. إن ظن واحد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى. من جهة الختان مختون في اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين عبراني من العبرانيين. من جهة الناموس فريسي. من جهة الغيرة مضطهد الكنيسة. من جهة البر الذي في الناموس بلا لوم. » (فيلبي ٣ : ٤ - ٦).





لو كان في استطاعة أي إنسان ما أن يحظى بانتباه الله و ينال رضاه، لكان هذا الإنسان هو الرسول بولس. لكن كما يتضح بعد ذلك، فإن بولس في حياته كمُعلم للشريعة قد اكتشف أن إخلاصه في تطبيق الشريعة قد فشل في أن يفتح أمامه أبواب السماء، فكتب فيما بعد:

« فإن أحداً من البشر لا يتبرر أمامه (أي أمام الله) بالأعمال المطلوبة في الشريعة. إذ أن الشريعة هي لإظهار الخطيئة. »
(رومية ٣ : ٢٠). (كتاب الحياة)

لكن إن لم يكن في إمكان الشعائر الدينية أو الممارسة المستمرة لطقوس الشريعة أن توصلنا لله، فأي أمل إذاً لدينا في الوصول إلى الله؟ وهل توجد طرق أخرى يمكننا اتباعها؟

الإجابة هي: **نعم**.

فوسط كل نداءات المتطلبات الدينية الكثيرة، يوجد صوت واحد يقف متفرداً، ويشير إلى اتجاه مختلف تماماً. هذا الصوت قد عرف تماماً الفجوة الموجودة بين الله والإنسان والتي يلزم عبورها. وعرف أيضاً أن القدرة على عبور هذه الهوة تعتمد على «البحث والطلب»

لكن الصوت يقول إن الباحث الحقيقي ليس على الجانب البشري من الفجوة، بل هو في الجانب الآخر. هكذا قال يسوع الناصري الذي أوجد الطريق للعبور ليس سوى الله نفسه. إن الله هو الذي أقام الجسر الوحيد الذي يعبر هذه الفجوة الشديدة الاتساع.

من هو الباحث الحقيقي؟

الله هو الباحث الحقيقي الذي، بإصرار، اتبع طريقاً يسمح له بالاتصال بالبشرية الجائعة المحتاجة. وبحسب كلام السيد المسيح، فإن الله لن يتوقف إلا عندما يجد هؤلاء البشر الضّالين ويحضرهم لنفسه.

هذا هو جوهر رسالة الرب يسوع المسيح.

فبقدر ما تعتقد أنك مهتم بالعثور على الطريق إلى الله، ستكتشف أن الله أكثر منك اهتماماً بالوصول إليك.

يقول السيد المسيح إنه يبحث عنك، فهدف الله ليس أن يدفعك نحو الدينونة والجحيم، بل أن يحثك على أن تكون ابناً لله!

وبإعلان هذا الحق، لا يعلن المسيح شيئاً جديداً ولكنه يبرز بذلك شيئاً كان موجوداً بالفعل في العهد القديم قبل مجيئه إلى أرضنا.



الباحث الحقيقي عن المختبئين

بعد أن عصى آدم وحواء وصية الله الواضحة في جنة عدن شعرا بالخزي والذنب، وقد قادهما هذا إلى أن يسترا نفسيهما ويختبئا من الله. فاختبأ في وسط الأشجار عندما سمعا الله يقترب منهما، بدلاً من أن يسرعا للقائه.

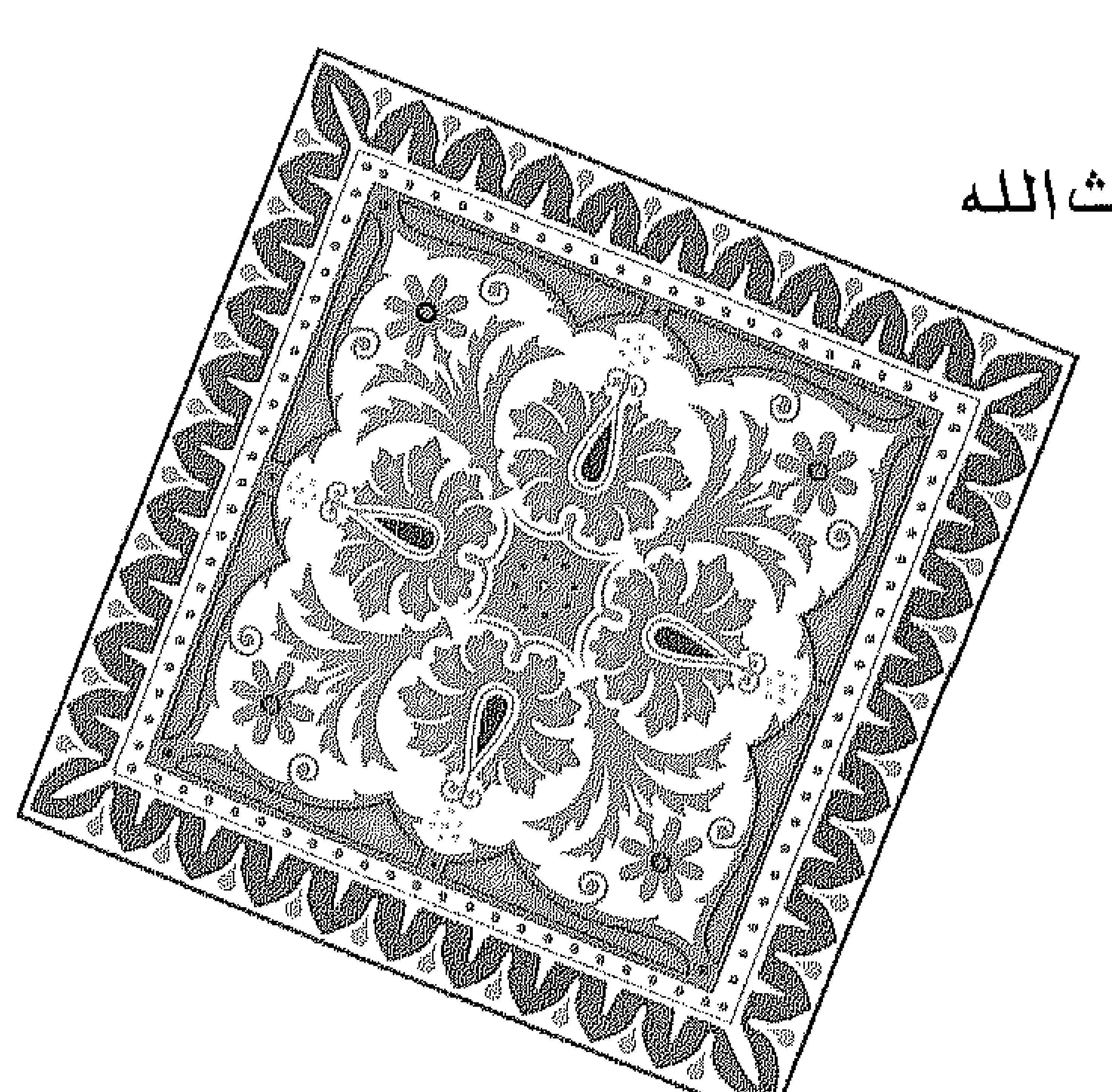
« وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟

فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت ».

(تكوين ٣ : ٨ – ١٢)

الجدير بالذكر أن الله هو الذي نادى آدم وحواء، فالله هو الذي يسعى لرفقتهما. وعندما وجدهما وأعلمهما بما اقترفا، أعطاهما الفرصة لكي يتوبا باعترافهما بخطيتهما.

فحتى عندما اختبأ آدم وامرأته، بحث الله عنهما بمحبته.



الباحث الحقيقي عن المتغربين

وقال الرب لإبرهيم: « **اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك** ».

« **فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك. وتكون بركة. وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه. وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض** ». (تكوين ١٢ : ١ - ٣)

نتعلم هنا عن أبينا إبراهيم الذي وُلد ونشأ في بلاد ما بين النهرين القديمة. وكانت ديانة عائلة إبراهيم يدخل فيها غالباً عبادة القمر من بين الآلهة العديدة التي كانت موضع العبادة في الحضارة الوثنية في ذلك الوقت.

وفجأة، في أحد الأيام كشف الإله الحقيقي عن نفسه لإبراهيم، فدعا الله إبراهيم أن يترك أهله وبلده ويذهب لمستقبل جديد اختاره الله له ولنسله.

والقصة التي أمامنا لا تعطينا انطباعاً عن أن أبونا إبراهيم لم يكن راضياً عن عبادة عائلته للأصنام، أو أنه كان يبحث عن الإله الواحد الحقيقي.

لكننا بدلاً من ذلك نكتشف أن الله هو الذي بحث عنه، فقد تدخل الله في حياة هذا الرجل لكي يظهر نفسه له ويبارك العالم من خلاله.

ومرة أخرى، يُظهِر الله نفسه على أنه المبادر بالحب، الذي يبحث عن الضالين.

الباحث الحقيقي عن الخادم

في (اصموئيل ٣) نقرأ قصة الصبي صموئيل. الذي كان خادماً شخصياً لعالي الذي كان بدوره كاهناً لله الواحد الحقيقي.

وفي إحدى الليالي، وبينما كان الصبي صموئيل في فراشه، سمع صوتاً يدعوه باسمه. واعتقد صموئيل أن الكاهن هو الذي يطلبه، فجرى لخدمة سيده. ولكن الكاهن نفى أنه دعاه، فعاد صموئيل إلى فراشه.

وتكرر هذا المشهد مرتين أخريين قبل أن يدرك عالي الكاهن أن الله هو الذي كان يدعو صموئيل باسمه، فأرشد الصبي بأن يرد قائلاً: «تكلم يارب لأن عبدك سامع» إذا سمع الصوت مرة أخرى.

وبالفعل دعا الله صموئيل مرة أخرى، وباستجابة الصبي لله تكونت علاقة بين الخادم الصغير وخالقه.

وشب صموئيل وكبر ليصبح نبياً عظيماً لله. كل هذا لأن الله قد قام بالمبادرة لكي يجذب هذا الغلام ناحيته.

لكن مبادرة الله هذه ليست مقصورة على عدد قليل من الأفراد «المتميزين».



الباحث الحقيقي عن كل إنسان

لقد أصبح هذا هو الموضوع المحوري لخدمة الرب يسوع المسيح نفسه، بل إن الرب يسوع يتحدث عن نفسه بوصفه الراعي الصالح الذي جاء لكي يدعو خرافه للعودة إلى الله. وهكذا نرى يسوع يشارك الله الآب في دور «الباحث الحقيقي»، وهو لا يدعو فقط الضالين من أمة أو شعب معين بل أيضاً أولئك الضالين في كل أنحاء العالم الذين سيجمعهم الله لنفسه.

« أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني، كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب. وأنا أضع نفسي عن الخراف. ولي خراف أخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد ».

(يوحنا ١٠ : ١٤ - ١٦).

ولكي يعبرّ يسوع عن قلب الله الآب الباحث الحقيقي، وعن مدى الفرح والابتهاج عندما يجد الضال ويضمه بين ذراعيه، يعلم الرب يسوع بمثل عن الخروف الضال الذى ضل طريقه:

« فكلمهم بهذا المثل قائلاً: أي إنسان منكم له مئة خروف وأضاع واحداً منها ألا يترك التسعة والتسعين في البرية ويذهب لأجل الضال حتى يجده. وإذا وجده يضعه على منكبيه فرحاً. ويأتي إلى بيته ويدعو الأصدقاء والجيران قائلاً لهم افرحوا معي لأني وجدت خروفي الضال ...»

أقول لكم إنه هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب أكثر من تسعة وتسعين باراً لا يحتاجون إلى توبة».

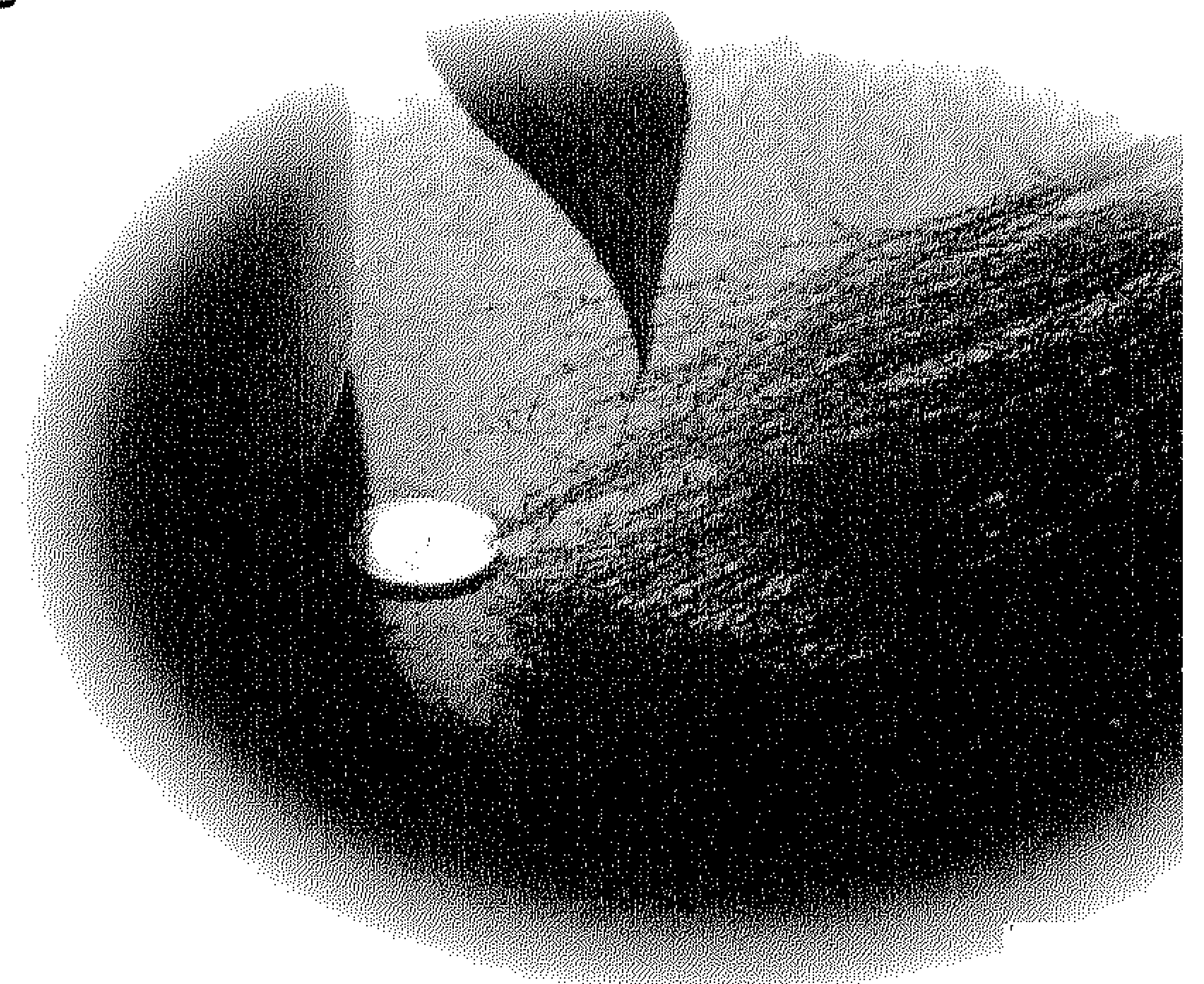
(لوقا ١٥ : ٣ - ٧).

ومرة أخرى، يلقي السيد المسيح الضوء على شوق الله للعثور على الضالين بمثل عن امرأة لديها عشرة دراهم، تكتشف فجأة ضياع واحد منها.

«أو أية امرأة لها عشرة دراهم إن أضاعت درهماً واحداً، ألا توقد سراجاً وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده. وإذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة افرحن معي لأني وجدت الدرهم الذي أضعته. هكذا أقول لكم يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطئ واحد يتوب».

(لوقا ١٥ :٨ - ١٠).

لقد أسفر بحثها الجاد عن العثور على هذا الدرهم، فاحتفلت احتفالاً كبيراً.
بهذه الطريقة يقول الرب يسوع إن كل السماء
تحتفل في كل مرة يتوب فيها أحد الخطاة.



الباحث الحقيقي عن أولاده

لكن وصف المسيح لقلب الله وحبه للإنسان يصل إلى درجة الكمال في مثله عن الابن الضال، أو بتعبير أفضل، «الأب الباحث عن ابنه».

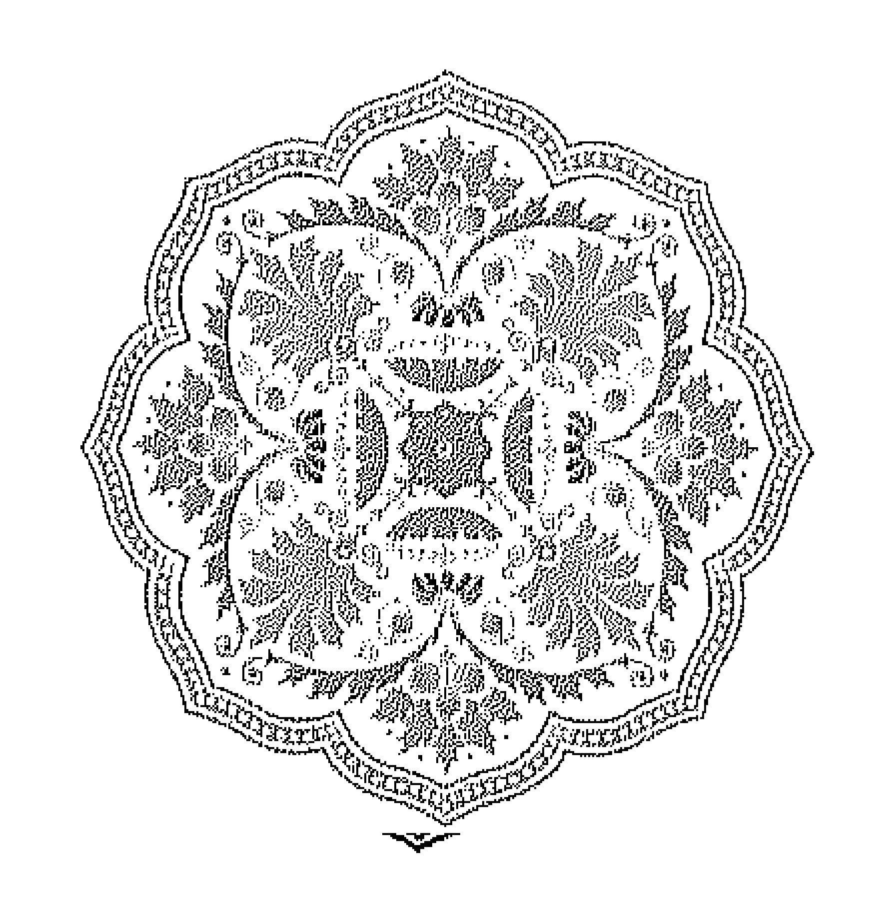
تبدأ هذه القصة عندما أتى الابن الأصغر لوالده طالباً منه نصيبه من الميراث، كان هذا الطلب إهانة شديدة للأب، إذ أن كلمات الابن تتضمن في معناها أنه يتمنى لو كان والده ميتاً، ولكن الآب، برغم ذلك، أعطى ابنه بكرم ما طلبه.

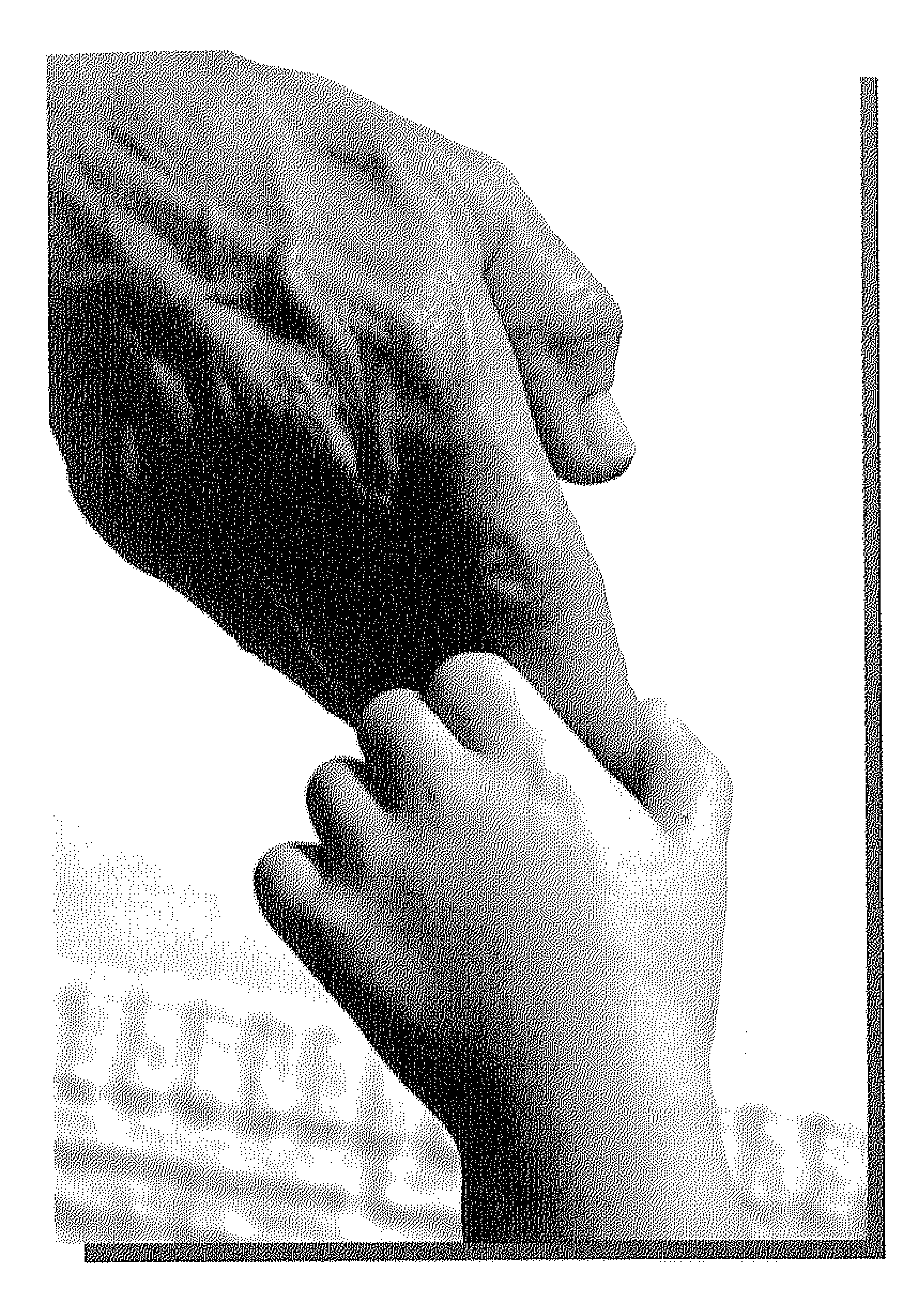
وبهذه الثروة اكتشف الابن استقلاليته، فذهب إلى بلد بعيدة حيث أنفق كل أموال والده في الخطية. وعندما وجد نفسه وقد أفلس، اتخذ لنفسه وظيفة حقيره، هي رعي الخنازير لكي لا يموت جوعاً.

وأخيراً عاد الابن إلى صوابه، وقرر أن يعود إلى أبيه وأن يطلب غفرانه، لعل الأب يقبله حتى ولو كخادم إجير للأسرة.

وفيما كان في طريق عودته للبيت كان والده قد قضى أيامه ناظراً إلى الأفق منتظراً في أمل ورجاء رجوع ابنه، وعندما رأى ابنه أخيراً من بعيد، وفي غمرة مشاعره ومحبته جرى مسرعاً نحو ابنه.

وعندما التقى الابن بأبيه بدأ يشرح له مدى أسفه، ولكن الأب قاطعه بأوامره لعبيده بأن يحضروا له أفضل ثوب، ويلبسوه حذاءً جديداً ويضعوا في إصبعه خاتم العائلة. ثم أمر بإقامة وليمة عظيمة لكي يحتفل الجميع بعودة هذا الابن الضال إلى البيت.





وبينما كان الحفل في قمته، عاد الابن الأكبر من عمله في الحقل، واكتشف أن هذا الحفل الكبير كان تكريماً لأخيه الأصغر، الذي جلب العار على أسرته، فثار على معاملة أبيه الكريمة لهذا الضال ورفض أن ينضم إلى الحفل.

بل إن الابن الأكبر اتهم والده بالظلم، وذكّره بأنه كابن، كان يعمل باجتهاد وطاعة في كل شيء ومع ذلك لم يحظ أبداً بحفل تكريم. أما هذا الابن الأصغر الذي لا يصلح لشيء يتم تكريمه كما لو كان ملكاً، برغم خزيه وعصيانه؛ «كيف يمكن أن يحدث ذلك؟» تساءل الأخ الأكبر.

وكان رد الأب على الابنين معاً يكشف عن مكنونات قلبه: «هذا حقيقي، إننا نحتفل بفرح عظيم لأن أخاك الذي كان ميتاً هو حي معنا الآن مرة أخرى، لقد كان ضالاً ولكنه وُجِد».

هناك من يبحث عنك

ربما تكون قد سلكت طريق الابن الأصغر الضال، وربما لاتزال تشعر حتى الآن كما لو كنت منقطعاً في بلدٍ بعيدة، شديدة البعد عن الله، وتعيش بطريقة تعرف أنها تكسر قلب الله. فهل أنت مستعد الآن لأن تدرك كيف جرحت مشاعر الله بعصيانك، وأن تقرر أن تعود إليه طالباً غفرانه؟

إن كان الأمر كذلك فسوف تكتشف أنك بمجرد أن تبدأ في التوجه نحوه ستجده بالفعل يسرع للقائك حيث أنت. وسوف يرجعك الله لبيته كابنه الذي ضل منذ زمان بعيد ووُجِد الآن.

وربما من ناحية أخرى، تتفق حياتك أكثر مع أسلوب ضياع الابن الأكبر. نعم، فهو أيضاً قد ضل. لقد عاش في بيت أبيه ولكنه لم يكن يعرف قلب الأب ولم يتجاوب مع محبته، لقد اعتقد أن ضمان حياته وخيرها كان معتمداً على مدى اجتهاده في العمل لأجل والده.

وربما تشعر أنت أن الله سيد قاسٍ، لا يقدم أبداً هبات مجانية، ولكنه يطلب العرق والدم مقابل كسب معيشتك.

قد لا تعرف شيئاً عن الله الرحيم، لكنه مازال يدعوك إليه. قد ترفض، لأنك بسبب كبريائك وشعورك بعدم الاستحقاق، قد ترى أنك لابد أن تعمل شيئاً ما من جانبك لكي تحصل على عطية ما من الله. ومع ذلك فإنك حتماً تتوق إلى دفء فرح الله.

١٧

هل عشت يوماً معتقداً بالخطأ أنك لابد أن تحقق إنجازات أخلاقية أو دينية عظيمة قبل أن ينظر الله إليك بعين العطف؟ هل تشعر بالإرهاق والتعب من حياتك كعبد محاولاً كسب عطف الله ونعمته؟

إذا تخليت عن كبريائك وقبلت دعوة الله المجانية للانضمام إلى الحفل السماوي، فإنك عندها ستكتشف محبته التي تأتي فقط للمتواضعين التائبين الذين يفتحون أذرعهم المحتاجة ويصرخون طلباً لمحبته.

ربما تكون مهيئاً الآن لسماع تعليم الرب يسوع المسيح عن طبيعة الله الآب، فهو، أولاً وأخيراً، يعرف قلب الآب أفضل من أي شخص آخر.

«الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب هو خبّر». (يوحنا ١:١٨)



محبة الباحث الحقيقي

يعلن الرب يسوع أن الله يحبنا بالرغم من خطايانا...

« لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية ».
(يوحنا ٣ : ١٦)

الله يعلم أننا لا نستطيع أن نمحو أو نزيل الشرور التي ارتكبناها...

« إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله ».
(رومية ٣ : ٢٣)

« لأن أجرة الخطيئة هي موت، وأما هبة الله فهي حياة أبدية بالمسيح يسوع ربنا ».
(رومية ٦ : ٢٣)

« لأن المسيح إذ كنا بعد ضعفاء مات في الوقت المعين لأجل الفجار. فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بيّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا ».
(رومية ٥ : ٦ – ٨)

الله، الباحث الحقيقي عن الإنسان، قد صنع طريقاً ليعبر هوة الذنب التي تفصل بيننا وبينه...

«قال له يسوع أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي. لو كنتم قد عرفتموني لعرفتم أبي أيضاً ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه».

(يوحنا ١٤ : ٦ – ٧)

إن يسوع المسيح، لكونه الابن الوحيد للآب السماوي، يكشف لعالم ضال أن قلب الله يمتلئ بالحب نحو خليقته الضالة، بما فيها نحن. إن محبة الله بالغة العظمة حتى أنه كانت لديه الرغبة والاستعداد لأن يقدم للموت كنزه الغالي، ابنه الوحيد، حتى تكون للعالم الفرصة لكي يجد الحياة من خلاله.

لقد أرسل الآب ابنه لهذا العالم الساقط لأنه يسعى لكي ينقذك من الجحيم. ولأن الرب يسوع المسيح يحب الآب محبة كاملة فإنه قد أخذ عنا عقاب الخطية وآلامها لكي ينقذنا من الدينونة الأبدية.

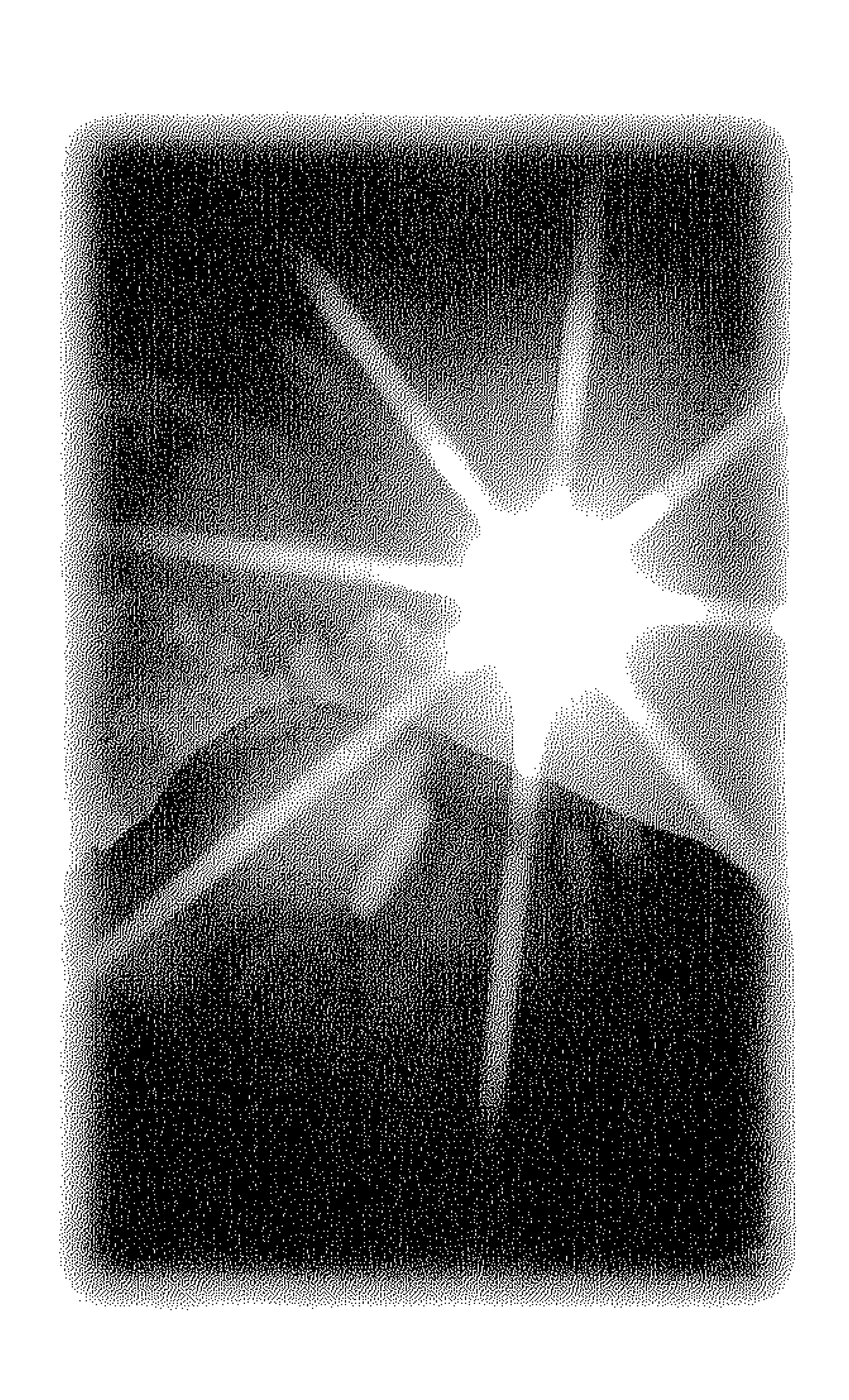


إرسالية وعمل الباحث الحقيقي

« لأني قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني. وهذه مشيئة الآب الذي أرسلني أن كل ما أعطاني لا أتلف منه شيئاً بل أقيمه في اليوم الأخير

لأن هذه هي مشيئة الذي أرسلني أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير».
(يوحنا ٦ :٣٨ - ٤٠)

لقد وصف الرب يسوع إرساليته على الأرض هكذا: «لأن ابن الإنسان قد جاء لكي يطلب ويخلص ما قد هلك» (لوقا ١٩ : ١٠). لقد جاء بقوة لكي يشفي الإنسان جسدياً وروحياً.



فعلى مدار العصور قد أعلن الرب يسوع لأتباعه بأنه «الطبيب الأعظم»، لأنه على الدوام يصغي إلى المنكسرين جسدياً وروحياً، الذين يصرخون إليه في احتياجهم.

« وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى. فقال له « اتبعني » فقام وتبعه ».



وبينما هو متكيء في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه. فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟

فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. فاذهبوا وتعلموا ما هو. إني أريد رحمة لا ذبيحة. لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة».
(متى ٩: ٩ - ١٣).



لقد قضى الرب يسوع وقته مع الخطاة والمطرودين الذين كانوا يشعرون أكثر من غيرهم بالانكسار ويشتاقون إلى معرفة الله والحياة معه.

فإذا شعرت اليوم باحتياجك الشخصي، وإذا كان قلبك اليوم يصرخ طلباً للنجاة، فلا تتجاهل معاملات الرب معك.

«لأنه لا فرق بين اليهودي واليوناني لأن رباً واحداً للجميع، غنياً لجميع الذين يدعون به. لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص».
(رومية ١٠ : ١٢ – ١٣)

إنه يقف أمامك إذ قد وجدك في بؤسك وشقائك.

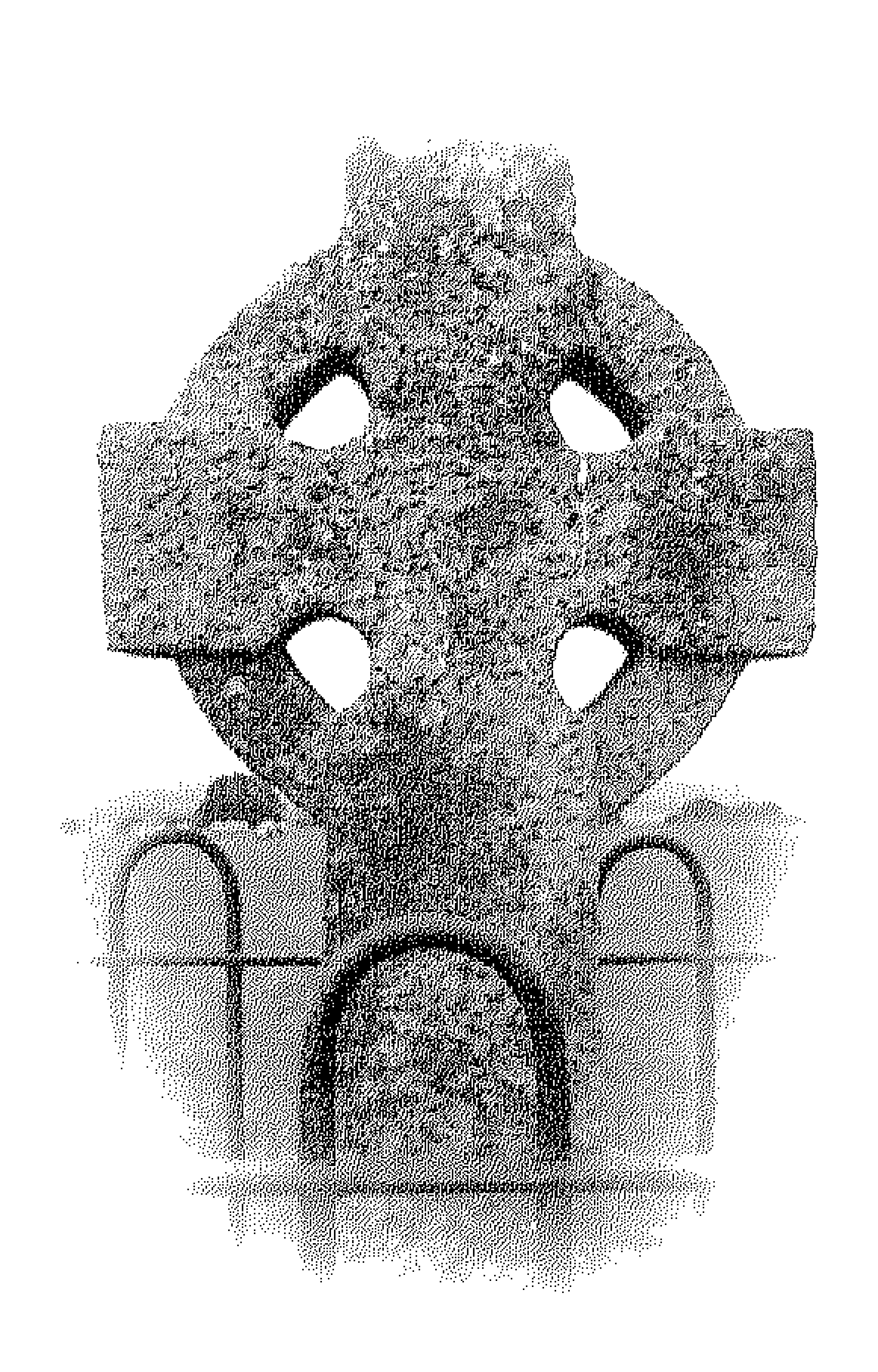
فهل أنت مستعد لكي تلبي دعوته لك؟ هل أنت مستعد أن تفتح له باب حياتك وتدعه يدخل؟ إنه يشتاق لأن يدخل إلى حياتك ويقيم معك علاقة شافية وحميمة.

«هأنذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي».
(رؤيا ٣ : ١٩ – ٢٠)

رد فعلك تجاه الباحث الحقيقي

إنك لا تحتاج لأن تفعل أي شيء لكي تذكر الله بك! فقد كانت عينه عليك من قبل مولدك.

« لأنك أنت قد كونت كليتي.
نسجتني داخل بطن أمي.
أحمدك لأنك صنعتني بإعجازك المدهش.
ما أعجب أعمالك ونفسي تعلم ذلك يقيناً.
لم يخف عليك كياني عندما كونت في السر
وجبلت في أعماق الأرض. رأتني عيناك وأنا مازلت جنيناً
و قبل أن تخلق أعضائي كتبت في سفرك يوم تصورتها ».
(مز ١٣٩ : ١٣ - ١٦) (كتاب الحياة)



لا يمكن لأي شيء تقوم به أن يوازي أو يشابه ما قد فعله الله لأجلك، إذ قد قدم لك الطريق للحياة الأبدية بواسطة ذبيحة ابنه. لقد جاء يسوع إلى هذا العالم لكي يموت ميتة بشعة - يموت صلباً - لكي يمنحك حياته.

«السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك. وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل».
(يوحنا ١٠ : ١٠)

بحسب كلمات يسوع نفسه:
«كما أن ابن الإنسان لم يأتِ ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين».
(متى ٢٠ : ٢٨)

لقد صار ابن الله بشراً لكي يمكن البشر من أن يصبحوا أبناءً لله.



ما الذي يمكنك عمله الآن؟

يمكنك أن تعرف هذه الحياة الجديدة اليوم إذا كنت ترغب في أن تعمل الآتي:

١. أن ترجع إلى نفسك أو تعود إلى صوابك، ومثل الأخ الأصغر في مثل الرب يسوع عن الابن الضال، يجب أن تدرك أنك قد أبعدت نفسك عن الله بعصيانك وأفعالك الشريرة، ويجب أن تتوب و تطلب غفران الله.

«إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم».
(ايوحنا ١:٨-٩)

٢. أن تدرك أن الرب قد قدم لك بنعمته طريقاً للمصالحة مع الله بأن سمح بأن يموت المسيح بدلاً منك، ويتحمل عقوبة خطاياك فيحررك من الدينونة.

« صادقة هي الكلمة ومستحقة كل قبول أن المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا ».
(اتيموثاوس ١:١٥)



٣. أن تتجاوب مع دعوة الرب يسوع المسيح لك لقبول هبة الحياة التي يقدمها لك مجاناً

« تعالوا إليَّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم. احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب. فتجدوا راحة لنفوسكم. لأن نيري هين وحملي خفيف ».

(متى ١١ : ٢٨ - ٣٠)

ويحدث هذا عندما تتوقف عن محاولة كسب رضى الله بمجهوداتك السلوكية والأخلاقية. اقبل ببساطة عطية الخلاص المجانية من الرب يسوع، العطية التي لا يمكن لأحد سواه أن يقدمها لك:

« الروح والعروس يقولان تعال. ومن يسمع فليقل تعال. ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجانا ».

(رؤيا ٢٢ : ١٧)

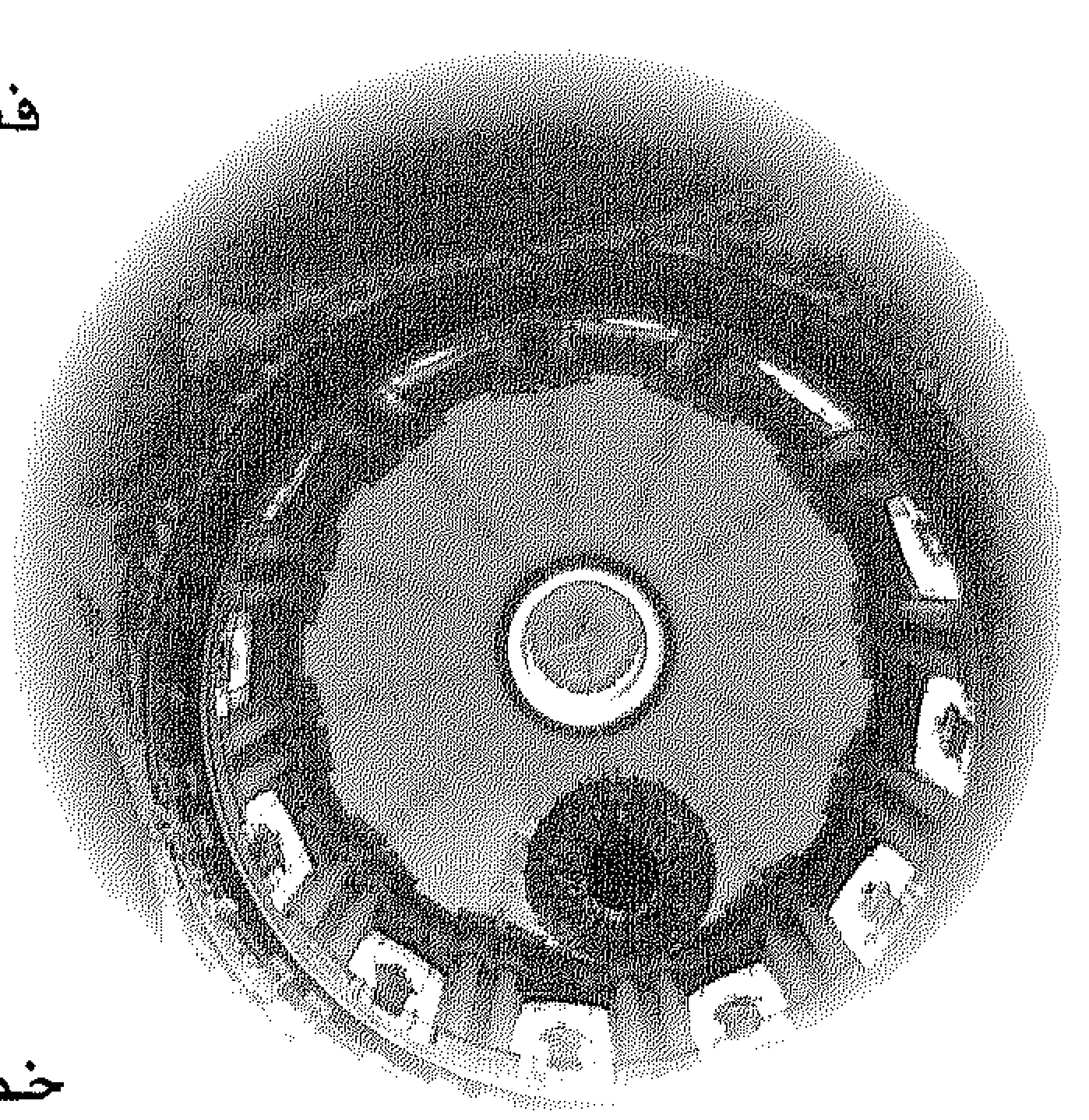
وكاستجابة مناسبة لهذا الحب العظيم، إقبل الرب يسوع، ليس فقط كمخلص لك من الخطية والموت والشر، ولكن أيضاً ليكون السيد الوحيد الحاكم في حياتك. يكتب الرسول يوحنا قائلاً:

« نحن نحبه ...
لأنه هو أحبنا أولا ».

(ايوحنا ٤ : ١٩)

وقد علمنا الرب يسوع، أن محبتنا له تظهر بأفضل صورة في كيفية طاعتنا لتعاليمه بمجرد سماعها.

فقد أعلن لتابعيه:

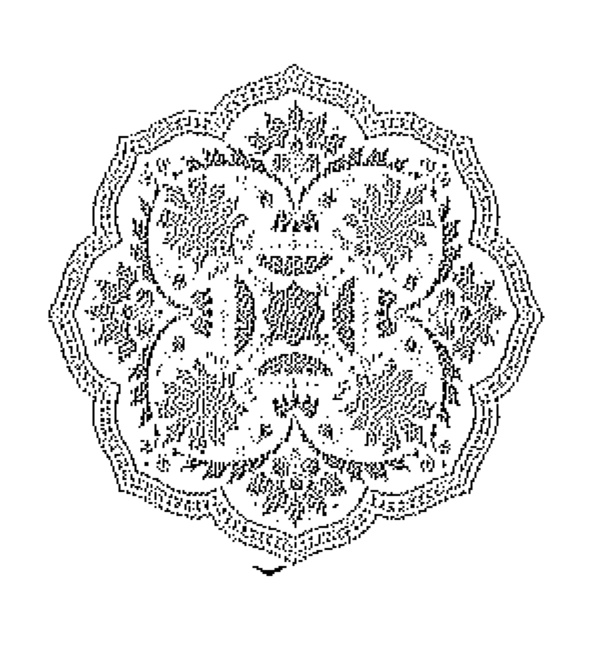
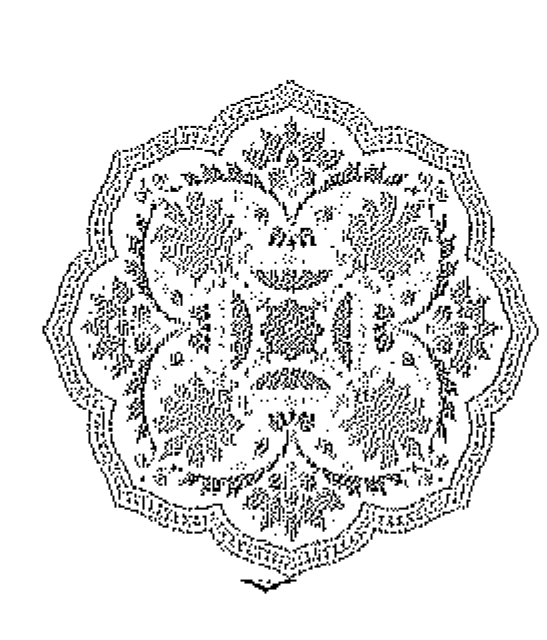


« الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي ».
(يوحنا ١٤ : ٢١)

خصص نفسك الآن لله لكي تعيش في محبته، وبالتالي تطيع تعاليمه حيث تضع ثقتك في الرب يسوع المسيح وفي وعوده لك.

« ليس كل من يقول لي يارب يارب يدخل ملكوت السموات. بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات. كثيرون سيقولون لي في ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة. فحينئذ أصرّح لهم إني لم أعرفكم قط. اذهبوا عني يا فاعلي الإثم. فكل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط لأنه كان مؤسساً على الصخر.

وكل من يسمع أقوالي هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط. وكان سقوطه عظيماً ».
(متى ٧ : ٢١ - ٢٧)

اتباع الباحث الحقيقي

بمجرد أن تربط حياتك بالله بواسطة الرب يسوع المسيح، فإنك تبدأ مغامرة عظيمة. وسوف تكتشف أكثر يوماً بعد يوم أن الله هو الباحث الحقيقي عنك وإن اتباعك له سيملأ قلبك بالفرح.

ولكي تفعل ذلك، قدّم نفسك بالكامل له ولتخدمه بقية أيام حياتك. تكلم مع الله شخصياً، وداوم على ذلك، وتذكرّ أنك لا تحتاج لكلمات خاصة لكي تبهره بها وتنال استحسانه، بل استخدم كلماتك أنت البسيطة، وكن أميناً معه. خذ وقتاً في الاستماع لما يريد الله أن يقوله لك من خلال كلمة الله المقدسة وروحه القدس، لأن يسوع المسيح قد أعلن قائلاً:

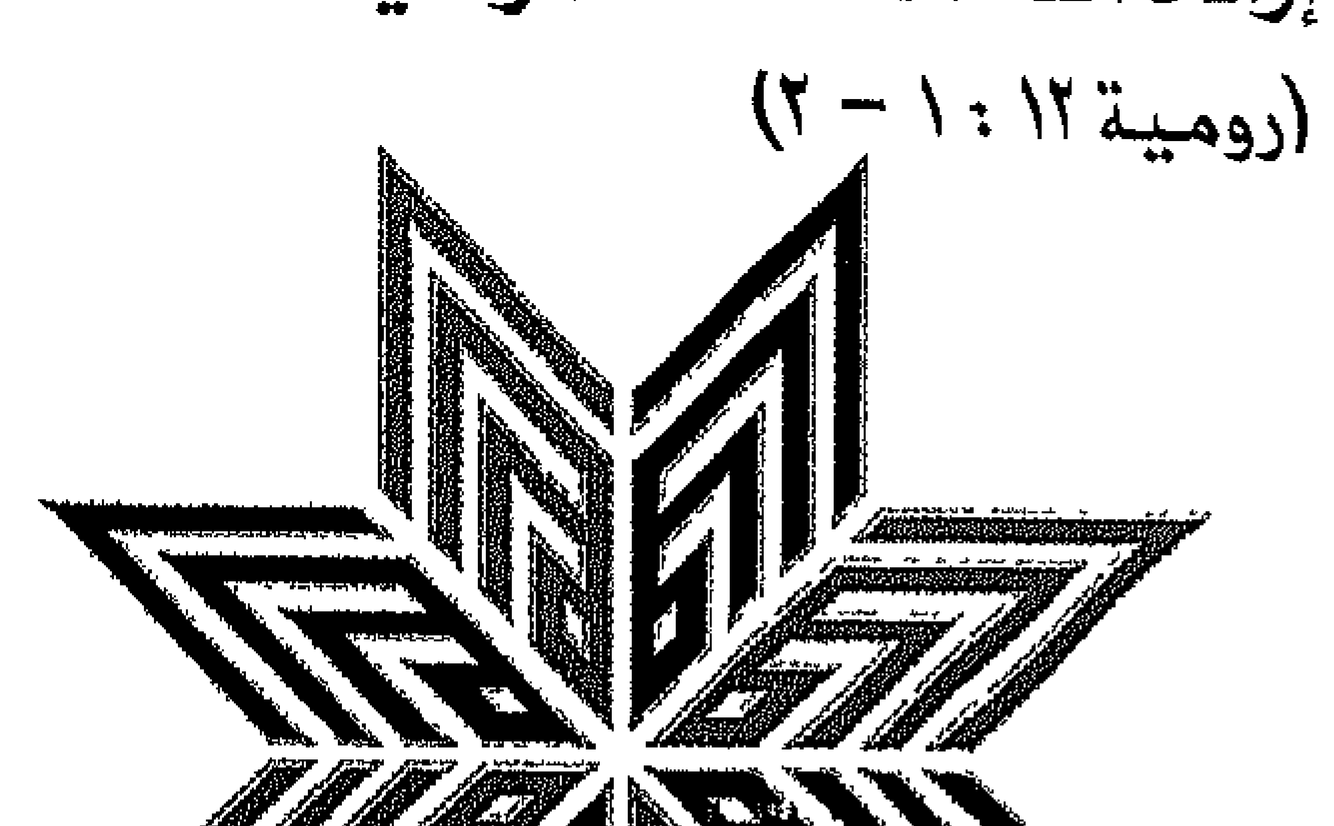
«إن لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم. كل ما للآب هو لي. لهذا قلت إنه يأخذ مما لي ويخبركم».

(يوحنا ١٦ : ١٢ – ١٥)

وكذلك يكتب الرسول بولس قائلاً:

«فأطلب إليكم أيها الإخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية. ولا تشاكلوا هذا الدهر. بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة».

(رومية ١٢ : ١ – ٢)





وستوضح لك قراءة الكتاب المقدس اتجاهك في هذه الرحلة العظيمة، فاقرأ كلمة الله وادرسها يومياً. واحصل على أحد كتب التفسير للكتاب المقدس، ليساعدك على الفهم الصحيح للكتاب.

ومما يساعدك في علاقتك الجديدة مع الله، أن تواظب على حضور كنيسة وتنضم لجماعة من المؤمنين حيث يمكنك أن تعبد الله معهم وتنضم إليهم في صداقة قلبية حميمة. وأنت كتابع ليسوع تكون عضواً في جسد المسيح ولديك مواهب لكي تقدمها للآخرين وهبات ومواهب تأخذها من بقية أعضاء الجسد.

« لأنه كما أن الجسد هو واحد وله أعضاء كثيرة، وكل أعضاء الجسد الواحد إذا كانت كثيرة هي جسد واحد، كذلك المسيح أيضاً. لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين عبيداً أم أحراراً وجميعنا سقينا روحاً واحداً ».

(اكورنثوس ١٢ : ١٢ – ١٣)

« فإن كان عضو واحد يتألم فجميع الأعضاء تتألم معه. وإن كان عضو واحد يكرم فجميع الأعضاء تفرح معه. وأما أنتم فجسد المسيح وأعضاؤه أفراداً ».

(اكورنثوس ١٢ : ٢٦ – ٢٧)

إن الاجتماع مع مؤمنين آخرين سيساعدك على أن تحافظ على حياة الإيمان في المسيح عندما تعترض طريقك التجارب والصراعات.

« لنتمسك بإقرار الرجاء راسخاً لأن الذي وعد هو أمين. ولنلاحظ بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة والأعمال الحسنة. غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرب ».

(عبرانيين ١٠:٢٣–٢٥)

إذا كنت قد فتحت قلبك للباحث الحقيقي، الرب يسوع المسيح، وسلّمت له حياتك، وتعهدت بالولاء الكامل له، فأنت الآن تابع للمسيح.

فمرحباً بك في شركة هذه الحياة الجديدة مع الله! لقد بدأت الآن أكثر رحلات الحياة إثارة وإشباعاً.

وصلاتنا لأجلك هي أن تنتشر هذه الحياة الجديدة التي بدأتَ في الاستمتاع بها في كل كيانك، وأن تفيض في حياة الآخرين من حولك. فلتكن معك ولك نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس إلى الأبد. آمين.



معرفة الباحث الحقيقي

لقد خلقك الله لتعيش في علاقة معه، وهو يرغب في أن يتواصل معك بانتظام، وأحد الطرق الأساسية التي يفعل بها ذلك هي عن طريق دراسة كلمته المكتوبة، أي الكتاب المقدس.

ففي أي فصل كتابي تختار أن تقرأه، اطلب من الله مقدماً أن يُعِد قلبك لكي تستمع لصوته في الكلمة المقدسة. خذ وقتاً في التفكير فيما تقرأ وفي الطريقة التي يمكنك بها تطبيقه في حياتك اليوم، والأسئلة التالية قد تعينك في ذلك:

* ما هي الحقائق التي يركز عليها هذا الفصل الكتابي؟
* ما هي مواقف حياتي التي يذكرني بها هذا الفصل الكَتابي؟
* ما هي الوعود التي يعطيها الله لي من خلال هذا الفصل، وما هي الوصايا التي يمكنني اتباعها؟ ما الذي أتعلمه عن الله، ما الذي أتعلمه عن الحياة؟

الأجزاء المناسبة كبداية لقراءة الكتاب المقدس:

لكي تكتشف لماذا خلق الله العالم وكيف يتصل بالجنس البشري، اقرأ سفر التكوين - أول سفر في الكتاب المقدس. وإذا كنت ترغب في تنمية علاقة أكثر قرباً وألفة مع الله فحاول قراءة المزامير. ولكي تنمو في الكمال والحكمة العملية اقرأ الأمثال ولمعرفة أعمق ليسوع المسيح اقرأ الإنجيل كما دونه متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وهي الأسفار التي يُطلق عليها في مجموعها «البشائر». ولكي تعرف بالأمثلة الملموسة كيف يجب أن يعيش المسيحيون، ادرس يعقوب. وإذا كنت ترغب في الوقوف على أساس راسخ في التعاليم الأساسية في الإيمان المسيحي فتأمل في الرسالة إلى رومية ١ – ٨.

كثيراً ما سألنا أنفسنا في بعض أوقات حياتنا هذه الأسئلة:

* هل يمكنني أن أجد الخالق؟
* ماذا أفعل لأرضي العليّ؟

وتكمن فينا رغبة عميقة واشتياق للوصول إلى شيء ما أعمق مما نعيش فيه.

وبقراءتك هذا الكتاب قد تندهش إذ تعرف من هو الباحث الحقيقي، هل هو أنا أو أنت، أو أن الله هو الذي يبحث عنا جميعاً.



مكتبة المنار
Lighthouse Book Center

الموزع بجمهورية مصر العربية